📜المثنوي المعنوي

دستور العشق وسفر الروح إلى الله 📜

تحفة مولانا جلال الدين الرومي الخالدة

في عالم التصوف والأدب العالمي، يقف كتاب **"المثنوي المعنوي "**كطودٍ عظيم، وشجرة وارفة الظلال يستظل تحتها الباحثون عن الحقيقة والعشاق الإلهيون. إنه ليس مجرد ديوان شعر، بل هو **"محيط من الحكمة "**صاغه مولانا جلال الدين الرومي، ليكون خريطة طريق للنفس البشرية في رحلتها من الشتات إلى الوصل، ومن الغفلة إلى اليقظة.

🏛️أولاً: بطاقة تعريفية بالكتاب

- **المؤلف :**جلال الدين الرومي (مولانا).
- **اللغة الأصلية :**الفارسية.
- **الحجم :**ستة مجلدات (دفاكر).
- **عدد الأبيات :**ما يقارب ٢٦,٠٠٠ بيت شعري (مزدوج القافية).
- **اللقب الشائع**" :القرآن بالفارسية" (هست قرآن در زبان پهلوى)؛ وصف أطلقه عليه الشاعر عبد الرحمن الجامي نظراً لعمق معانيه الروحية المستمدة من القرآن الكريم.

🕯️ثانياً: قصة التأليف.. وحيُ الصداقة

لم يُكتب المثنوي بقرار أكاديمي مسبق، بل ولِد من رحم الصداقة الروحية والتلمذة. بدأت القصة عندما اقترح **حسام الدين جلبي** (تلميذ الرومي وخليفته) على شيخه أن يكتب كتاباً شعرياً على غرار "منطق الطير" لفريد الدين العطار، ليكون نبراساً للمريدين.

ابتسم الرومي وأخرج من عمامته ورقة مكتوباً عليها الأبيات الثمانية عشر الأولى (التي تُعرف بـ "أغنية الناي")، وقال له" :**لقد بدأتُ قبل أن تطلب** ."ومنذ تلك اللحظة، وطوال سنوات عديدة، كان الرومي يملي الأبيات شعراً وحسام الدين يكتب، يراجع، وينشد، حتى اكتملت هذه الملحمة العرفانية.

🎼 ثالثاً: افتتاحية المثنوي (ناي نامه: أنين الناي)

تُعد الأبيات الـ ١٨ الأولى جوهر الكتاب ومفتاحه السري. يبدأ الرومي كتابه بالحديث عن **"الناي"**، الذي يرمز إلى الروح البشرية التي قُطعت من أصلها (عالم الأرواح/ الغابة الأصلية) وجيء بها إلى عالم المادة.

"استمع إلى الناي كيف يقص حكايته.. ويشكو من آلام الفراق"

يقول الرومي إن كل أنين يصدره الإنسان في هذه الدنيا هو حنين للعودة إلى الموطن الأصلي (الله). ففلسفة المثنوي تدور حول فكرة مركزية" :**نحن من هناك، ويجب أن نعود إلى هناك** ."

🌀 رابعاً: الهيكل والمحتوى.. فوضى منظمة بعبقرية

يتميز المثنوي بأسلوب سردي فريد لا يسير في خط مستقيم. إنه أشبه بتيار الوعي أو "القصص المتداخلة" (على غرار ألف ليلة وليلة)، حيث:

١. **القصة داخل القصة :**يبدأ الرومي بقصة، ثم يقطعها ليروي قصة فرعية تشرح حكمة معينة، ثم يعود للقصة الأصلية.
٢. **التنوع المذهل :**يجمع الكتاب بين:
   - 📖 تفسير آيات قرآنية وأحاديث نبوية.
   - 🦊 حكايات على لسان الحيوانات (رمزية).
   - 👑 قصص الملوك والسلاطين والصعاليك.
   - 💡 تأملات فلسفية عميقة.

٣. **الهدف التعليمي** :الرومي لا يحكي للتسلية، بل يستخدم القصة كطُعم ليصطاد عقل القارئ ويقوده إلى حقيقة روحية.

💎 خامساً: أبرز الموضوعات الفلسفية في المثنوي

يناقش الكتاب قضايا الوجود الكبرى، ومن أهمها:

- ❤️ **العشق الإلهي** :يرى الرومي أن العشق هو القوة المحركة للكون، وهو الطريق الأسرع للوصول إلى الله، متجاوزاً طريق العقل الجاف.
- 🦁 **الصراع بين النفس والروح** :يصور الرومي الإنسان ككائن مركب من طين (نفس أمارة) ونور (روح سامية)، والحياة هي ساحة معركة بينهما.
- ☠️ **الموت والبعث** :الموت عند الرومي ليس نهاية، بل هو "ولادة جديدة" وتحرر للطائر من القفص. شعاره" :*مُتْ قبل أن تموت*) "أي اقضِ على أنانيتك.(
- 👁️ **وحدة الوجود (بالمفهوم الذوقي)** :أن ترى يد الله في كل شيء، وأن تدرك أن الكثرة في العالم هي تجليات للحقيقة الواحدة.

🌟 سادساً: من روائع قصص المثنوي

يحتوي الكتاب على مئات القصص، منها:

١. 🐘 **الفيل في الغرفة المظلمة** :قصة تشرح "قصور الإدراك البشري". حيث لمس كل شخص جزءاً من الفيل في الظلام ووصفه بناءً على ما لمس (مروحة، عمود، عرش)، بينما الحقيقة الكلية غابت عنهم.

٢. 🤴 **موسى والراعي** :درس في التسامح، حيث عاتب اللهُ نبيه موسى لأنه وبخ راعياً كان يخاطب الله بكلمات بسيطة وساذجة. جاء الوحي" :*ما خلقنا الخلق لنربح عليهم، بل ليربحوا بنا.. لست أنظر إلى اللسان والمقال، بل أنظر إلى الروح والحال*."

٣. 🦜 **التاجر والببغاء :**قصة عن الحرية، وكيف أن "الموت الاختياري" عن الشهوات هو السبيل الوحيد للتحرر من قفص الدنيا.

🌍 سابعاً: الأثر العالمي للمثنوي

تجاوز هذا الكتاب حدود الزمان والمكان:

- **في الشرق :**دُرّس في التكايا والمدارس لقرون، وأثّر في الأدب التركي، الفارسي، والأردي تأثيراً بالغاً.
- **في الغرب :**يُعد جلال الدين الرومي اليوم واحداً من أكثر الشعراء مبيعاً في الولايات المتحدة وأوروبا. تُرجم المثنوي إلى معظم لغات العالم الحية، واعتبره المستشرق "رينولد نيكلسون" أعظم كتاب صوفي شعري على الإطلاق.

✍️ خاتمة: لماذا نقرأ المثنوي اليوم؟

في عصرنا المادي السريع، والمملوء بالقلق والاغتراب، يأتي **"المثنوي "**كترياق للروح. إنه يعلمنا أن لا نيأس من ذنوبنا، وأن الباب مفتوح دائماً، وأن الحب هو الشفاء لكل العلل.

قراءة المثنوي ليست مجرد مطالعة أدبية، بل هي **رحلة علاجية**؛ تبدأ بتمزيق حجب الغفلة، وتنتهي بالوصول إلى شاطئ السكينة.

"تعالَ.. تعالَ.. لا يهم من أنت، ولا إلى أي طريق تنتمي..
قوافلنا ليست قوافل يأس.. تعالَ حتى لو نقضت توبتك ألف مرة"
)منسوب لمولانا، ويعبر عن روح المثنوي(

📜 تابع: رحلة في أعماق المثنوي المعنوي 📜

بين السطور: الرموز، الأسلوب، والسر الأعظم

إذا كان الجزء الأول من مقالنا قد طاف حول شاطئ المثنوي، فإننا الآن سنخوض في "لجة البحر"، لنستكشف كيف هندس الرومي هذا البناء الروحي، وما هي الأدوات الخفية التي استخدمها لصياغة الوعي البشري.

🌟ثامناً: شمس تبريزي.. الحاضر الغائب في المثنوي

على الرغم من أن المثنوي كُتب بطلب من "حسام الدين جلبي"، إلا أن روح **شمس تبريزي** (معلم الرومي الروحي) هي النار التي تطهي أبياته.

- **الاحتراق قبل الكتابة :**لم يكن الرومي ليكتب المثنوي لولا لقاؤه بشمس الذي حوله من "فقيه زاهد" إلى "عاشق واله."
- **غياب الاسم وحضور المعنى :**نادراً ما يذكر الرومي اسم "شمس" صراحة في المثنوي (عكس ديوانه الآخر "ديوان شمس")، لكنه موجود في كل بيت يتحدث عن العشق، والفناء، والألم الشافي. المثنوي هو صدى لصوت شمس في قلب الرومي.

🎨تاسعاً: الأسلوب الفني.. "الواقعية الروحية"

يختلف المثنوي عن باقي كتب التصوف بأسلوبه الصادم والفريد:

١. **كسر التابوهات :**لا يتردد الرومي في استخدام ألفاظ قد تبدو "بذيئة" أو قصصاً فكاهية ساخرة جداً.

   - *الهدف* :هو يريد تحطيم "الوقار المصطنع" (الأنا/الإيغو) لدى القارئ. هو يقول لك: "الحقيقة موجودة حتى في الأماكن القذرة، لا تكن متعالياً."

٢. **أسلوب "الدوائر المتداخلة :"**الرومي لا يسير في خط مستقيم. يبدأ فكرة، ثم يتركها ليقص قصة، ثم يعود للفكرة بعد ٥٠٠ بيت!

   - *الحكمة* :هذا يحاكي طريقة عمل العقل البشري وتداعي الأفكار، ويدرب القارئ على الصبر وربط الخيوط ببعضها.

٣. **تعدد الأصوات :**يتحدث بلسان الجميع؛ الكافر، المؤمن، الشيطان، والملائكة، ليعرض الحقيقة من كل الزوايا.

🔑عاشراً: قاموس الرموز في المثنوي

لقراءة المثنوي وفهمه، يجب امتلاك "مفاتيح" المصطلحات التي يستخدمها الرومي بكثرة:

- **المرآة (القلب) :**إذا كانت المرآة صدئة (بالذنوب والتعلق بالدنيا)، فلن تعكس نور الشمس (الله). رحلة الإنسان هي "جلاء هذه المرآة."
- 🌊**البحر والقطرة :**البحر هو الوجود الإلهي المطلق، والقطرة هي الروح البشرية. القطرة تخاف من الفناء في البحر، لكن الرومي يخبرها أن فناءها هو "بقاء أبدي."
- 🍷**الخمر والسكر :**لا يقصد خمر العنب المحرم، بل "خمر العشق الإلهي" التي تُسكر العقل فتجعله يتجاوز المنطق المادي المحدود.
- ⛓**القفص :**هو الجسد، والطائر هو الروح.

📚أحد عشر: المثنوي والقرآن الكريم

العلاقة بينهما عضوية وعميقة جداً. يُقال إن المثنوي هو **"تفسير إشاري "**للقرآن الكريم.

- يستلهم الرومي آيات القرآن في معظم قصصه.
- يستخدم تقنية "الاقتباس" ببراعة، حيث يدمج نص الآية أو معناها داخل البيت الشعري الفارسي.
- مثال: قصة "يوسف وزليخة" في المثنوي ليست سرداً تاريخياً، بل شرح نفسي لآية {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}.

🚫ثاني عشر: لغز النهاية.. السيمفونية التي لم تكتمل

توقف المثنوي فجأة في المجلد السادس، في منتصف قصة (قصة الأمراء الثلاثة وقلعة ذات الصور). لم يختم الرومي الكتاب، ومات بعدها بفترة قصيرة.

- **لماذا؟** اختلف الشراح؛ منهم من قال إن المرض أقعده، ومنهم من قال إن "حسام الدين" انشغل بوفاة زوجته.
- **التفسير الصوفي :**يرى العرفاء أن الرومي توقف عمداً. لقد وصل إلى مرحلة من المعرفة لا يمكن للكلمات أن تصفها. كما قال في أبيات سابقة:

"إذا تكلمتُ أكثر، فستحترق الألسنة وتتلاشى العقول.. فلنكسر القلم ونمزق الورق."
النهاية المفتوحة هي دعوة للقارئ ليكمل القصة في حياته الخاصة.

💎 ثالث عشر: مختارات ذهبية (اقتباسات للتأمل)

إليك بعض الجواهر الخالدة من نص المثنوي:

١. **عن الألم:**

"الجرح هو المكان الذي يدخل منه النور إليك".

٢. **عن القيمة الذاتية:**

"أنت لست قطرة في محيط، أنت محيط بأكمله في قطرة".

٣. **عن البحث:**

"ما تبحث عنه.. يبحث عنك".

٤. **عن الحب:**

"لقد قلتُ للحب: أوقف هذا الدوران.. فقال لي الحب: إنما السكونُ حرامٌ".

٥. **عن الصمت:**

"الصمت هو لغة الله، وكل ما عداه ترجمة ركيكة".

🚀 خاتمة تكميلية: كيف أبدأ القراءة؟

لا يُنصح بقراءة المثنوي ككتاب عادي من الجلدة للجلدة للمبتدئين، نظراً لطوله وتشابكه.

١. **ابدأ بالمختارات**: اقرأ كتباً تلخص قصص المثنوي (مثل كتاب "حكايات المثنوي").
٢. **اقرأ بقلبك**: لا تحاول تحليل كل بيت منطقياً، اترك المعنى ينساب إلى روحك.
٣. **استعن بالشروح**: النص الأصلي (حتى المترجم) كثيف الرمزية، لذا فإن شروحاً مثل شرح "إبراهيم الدسوقي شتا" أو "المنارة" مفيدة جداً.

المثنوي ليس كتاباً للقراءة فحسب، إنه **مشروع حياة**، ورفيق درب لكل من يشعر بالغربة في هذا العالم ويريد العودة إلى الوطن.

⚖️المثنوي في ميزان النقد والتحقيق ⚖️

صحة النسبة، والجدل الشرعي، والإشكاليات الفكرية

لا يمكن الحديث عن كتاب بوزن "المثنوي" دون التطرق إلى العواصف التي أثيرت حوله. فهو بقدر ما نال من تقديس المحبين، نال أيضاً نصيباً وافراً من نقد الفقهاء والعلماء عبر التاريخ.

🔍أولاً: هل الكتاب حقاً من تأليف الرومي؟ (صحة النسبة)

من الناحية التوثيقية والتاريخية، يُعد المثنوي من أوثق الكتب التراثية نسبةً لمؤلفه، ولكن هناك تفاصيل دقيقة يجب معرفتها:

.1المجلدات الستة (الأصلية):

- **الشك معدوم**: لا يوجد خلاف بين المحققين (الشرقيين والغربيين) على أن المجلدات الستة المشهورة هي من نظم جلال الدين الرومي وإملاءه على تلميذه حسام الدين جلبي.
- **أقدم المخطوطات**: توجد في "متحف مولانا" بمدينة قونية التركية "مخطوطة قونية" التي كُتبت بعد وفاة الرومي بخمس سنوات فقط

(سنة ١٢٧٨م)، وتمت مراجعتها من قبل ابنه "سلطان ولد" وخليفته "حسام الدين". هذا يجعل النص موثوقاً للغاية.

- **تحقيق نيكلسون :**قام المستشرق الإنجليزي "رينولد نيكلسون" بعمل جبار استمر ٢٠ عاماً، حيث قارن المخطوطات القديمة وأخرج "النص المعتمد" عالمياً، مصفياً إياه من الأبيات الدخيلة.

.2المجلد السابع (المنحول):

- ظهر في بعض الطبعات القديمة "مجلد سابع" للمثنوي.
- **حكم المحققين :**أجمع الخبراء (مثل أنقروي ونيكلسون وفروزانفر) على أن هذا المجلد **مزور** ومنحول، كتبه شخص آخر قلد أسلوب الرومي بعد وفاته بقرون، وهو ركيك اللغة والمعنى مقارنة بالأصل.

🚫ثانياً: الانتقادات الشرعية والعقائدية

تعرض الكتاب لانتقادات لاذعة من قبل تيار "أهل الحديث" والفقهاء الظاهريين، وبعض المتكلمين، وتركزت هذه الانتقادات في النقاط التالية:

.1قضية "وحدة الوجود" و"الحلول والاتحاد"

- **الانتقاد :**يتهم النقاد الرومي بأنه يدعو إلى عقيدة "وحدة الوجود" (أن الله والكون شيء واحد)، مستشهدين بأبيات يقول فيها إن الخلق هم ظلال للخالق، أو يتحدث بلسان الربوبية. يعتبر الفقهاء هذا كفراً ومروقاً عن العقيدة الإسلامية الصافية التي تفصل بين "الخالق" و"المخلوق."
- **دفاع الشراح :**يقول الصوفية إن الرومي يتحدث عن **"وحدة الشهود "**لا "وحدة الوجود". أي أن العبد من فرط حبه لله لا يعود يرى في الكون مؤثراً إلا الله، فيغيب عن نفسه (الفناء) وليس أن العبد يصبح هو الله حقيقة.

.2وصفه بأنه "قرآن بالفارسية"

- **الانتقاد :**وردت عبارة في مقدمة الكتاب (أو نسبت إليه) تصف المثنوي بأنه *"كشاف القرآن "*وأنه *"هست قرآن در زبان پهلوى "*(هو قرآن باللغة

البهلوية/الفارسية). يرى النقاد في هذا تطاولاً خطيراً ومساواة لكلام البشر بكلام الله.

- **التوضيح** :يقصد الرومي وأتباعه بهذا الوصف أنه **"تفسير لمعاني القرآن "**وليس بديلاً عنه، مثلما نقول عن كتاب عظيم إنه "إنجيل في بابه" مجازاً.

.3استخدام الرموز "الإباحية" أو الحسية

- **الانتقاد** :يزخر الكتاب بقصص تحتوي على ألفاظ صريحة جداً، وإيحاءات جنسية، وقصص عن الفواحش (حتى بين الحيوانات) لضرب الأمثال. يرى النقاد أن هذا لا يليق بكتاب دعوة وتزكية، وأنه يخدش الحياء.
- **الرد (فلسفة الرومي)** :الرومي يبرر ذلك بأنه يستخدم "لغة الصدمة" لكسر الكبرياء، وأنه يجب النظر إلى "اللُب" (المعنى الأخلاقي) وترك "القشر" (القصة الظاهرة). هو يرى أن الحياء في العلم قد يمنع فهم حقيقة النفس الأمارة بالسوء.

.4الأحاديث الضعيفة والموضوعة

- **الانتقاد** :بنى الرومي الكثير من قصصه وحكمه على أحاديث نبوية لا أصل لها أو ضعيفة جداً عند علماء الحديث.
- **الواقع** :هذا مأخذ حقيقي، فالرومي لم يكن محدثاً، بل كان ناقلاً لما شاع في كتب الصوفية والوعظ في زمانه، حيث كان التساهل في رواية الضعيف في الفضائل أمراً شائعاً.

.5استخدام رمزية "الخمر والعشق الغلماني"

- **الانتقاد** :استخدام مصطلحات مثل (الساقي، الخمر، الحانة، العشق البشري) للتعبير عن علاقة العبد بربه، وهو ما يراه الفقهاء تشبيهاً للخالق بالمخلوق وتدنيساً للمقدس.
- **الرد** :هذه لغة اصطلاحية رمزية سائدة في الشعر الصوفي الفارسي، حيث الخمر تعني "نشوة الحب الإلهي"، والساقي هو "المرشد أو الله المفيض للمعرفة."

💡ثالثاً: كيف نتعامل مع الكتاب اليوم؟

بناءً على ما سبق، ينقسم القراء والعلماء إلى ثلاثة أقسام:

١. **الرافضون تماماً :**يرون فيه ضلالاً وبدعاً يجب اجتنابها (غالباً المدرسة السلفية).
٢. **المقدسون :**يعتبرونه كتاباً ملهماً لا يأتيه الباطل (بعض الطرق الصوفية المغالية).
٣. **المنصفون (الوسط) :**وهم السواد الأعظم من الأدباء والمفكرين الإسلاميين المستنيرين، ومنهجهم:
   - **التعامل معه كعمل أدبي عرفاني بشري :**يصيب ويخطئ.
   - **الاستفادة من الحكمة :**أخذ ما وافق الكتاب والسنة (وهو كثير جداً) من ترقيق للقلوب ودعوة للمحبة والتسامح.
   - **تأويل المتشابه :**حمل عباراته الموهمة على المحمل الحسن ما أمكن.
   - **ترك الشطحات :**تجاوز الأبيات التي تحمل معاني فلسفية مخالفة للعقيدة الواضحة، واعتبارها "شطحات سُكر روحي" لا يُقاس عليها.

✍️الخلاصة

كتاب **المثنوي** ليس كتاب فقه ولا عقيدة، بل هو **كتاب "أحوال" ومواجيد** .إنه صرخة روح مشتاقة.

"خذ ما صفى، ودع ما كدر"

هذه هي القاعدة الذهبية لقراءة المثنوي. هو بستان فيه الورود وفيه الأشواك، والعاقل من يجني العسل ولا ينشغل بذم النحل.
